رسمًا فلا خبر في اثارة ترابها ونقلها من اماكنها الاَّ اذا اريد استعمالها للبناء مثلاً ولم يرد اقرباء المدفونين فيها ان تبقى رفات اسلافهم تحت اقدام الاحياء . لان اثارة تراب المدافن القديمة قد لا يخلو من الضرر لا سيَّما وان بعض المدفونين في هذه المدافن قد ماتوا بالطاعون او نحوهِ من الاوبئة ولم يثبت حتَّى الآن ان جراثيم هذه الاوبئة لا تبقى حية سنين كثيرة بل قد ثبت ما يناقضهُ وهو ان الامراض الوبائية كانت تفشى في بعض الاماكن على اثر اثارة تراب المدافن القديمة فيها كانَّ جراثيم الامراض بقيت حية فيها كما تبقى بزور الحنطة سنين كثيرة ثمَّ لما كشفت للهواء انتشرت فيهِ ونمت وتكاثرت

هذه خلاصة ما ثبت علميًّا في هذا الموضوع الجليل فلنكن جوابًا للذين سألونا رأينا فيهِ

الصحة والكيمياء والطبيعيات

رئيس هذا الفرع السر هنري رسكو الكيماوي الشهير وقد افتتح بخطبة وجيزة في هذا الموضوع قال فيها ان كل فروع المؤتمر الصحي تعود الى الكيمياء والطبيعيات لان مراعاة نواميسهما قوام الصحة واهمال نواميسهما مجلبة للمرض . ونحن الكيماويين والطبيعيين نضع اساس العلوم الصحية ونرحب بالذين يساعدوننا في اقامة البناء من البيولوجيين والاطباء والمهندسين والسياسيين الى ان نضعف الامراض التي يمكن اتقاؤها وتبلغ اقلها وتزيد الصحة والراحة وتبلغا اعظمها

واذا اردنا ان نعرف ما تمَّ في البلاد من هذا القبيل مدة الخمسين سنة الاخيرة وجب ان نراجع ما كانت عليهِ احوال السكان حينئذٍ ونقابلها بما هي عليهِ الآن . فمنذ خمسين سنة لم تكن مبادئ علم الصحة معروفة الاَّ عند شرذمة صغيرة وقلما حاولت الحكومة العمل بها الاَّ في اوقات خصوصية بعيد بعضها عن بعض . ومنذ خمسين سنة لم نكن نعرف شيئًا يذكر عن حقيقة الامراض الوبائية وكيفية انتشارها ولا كنا نعرف ان الماء واللبن يحملان كثيرًا من جراثيم الامراض المعدية وكان يظن حينئذٍ ان الماء ما دام صافيًا باردًا فهو نقيٌّ خالٍ من كل شائبة نافع لمن يشربهُ ولذلك كان سكان المدن يفضلون ماء آبارهم على المياه الجارية من مكان بعيد مع انهُ قد ثبت ان مياه الآبار تكون في الغالب حاوية سمًّا ناقعًا

ومنذ خمسين سنة لم يكن احد يحسب ان وجود آبار المراحيض تحت البيوت مضرٌّ بصحة سكانها مع ان الصينيين وغيرهم من الامم الذين ننكر عليهم التمدن الآن كانوا يوجبون

نزع الاقذار واستخدامها للزراعة منذ قرون كثيرة واوربا لم تعلم وجوب ذلك الاَّ في اواسط القرن الماضي وحتَّى الآن لم نصل الى انجع الطرق لازالة هذه الاقذار والانتفاع بها

ثم ان باستور وتلامذته قد اثبتوا بالدليل ان فعل انواع الميكروب بالبدن يتوقف على ما تكوّنه فيهِ من المركبات الكيماوية وان تريّاقها يتوقف على ما تكونهُ ايضًا من المركبات الكيماوية. فصار درس هذه المركبات وفعلها بالبدن وفعل بعضها ببعض من احل المباحث وافيدها للصحة والرمها للشوقي من الامراض

وقام الدكتور ترش بعد ذلك وتلا خطبة موضوعها الوسائط الكيماوية المستعملة لتطهير مواد المراحيض . وقال فيها ان المواد الآلية التي في مياه المراحيض بعضها ذائب وبعضها غير ذائب . وغير الذائب منها اما حيٌّ واما ميت . اما المواد والاساليب التي استعملت لازالة هذه الشوائب على اختلاف انواعها فهي اولاً ركود المياه حتَّى يرسب ما فيها وذلك باجرائها في حياض واسعة ببطء كثير . ثانيًا ترشيحها في طبقات من الحصى والرمل والفحم وما اشبه . ثالثًا انفاذها من مواد تفعل بها فعلاً كيماويًّا كالفحم الحيواني والحديد المعدني وبعض مركبات الحديد والمغنيسيا . رابعًا ترسيب ما فيها بواسطة مواد كيماويَّة تتركَّب ببعض المواد الآلية وبتكوّن منها مواد جامدة غير قابلة الذوبان كبعض املاح الحديد والالومنيا والزنك وهيدرات الجير (الكلس) . خامسًا ترسيبها بالكهربائية بحسب طريقة وَيْنتر . سادسًا حل المواد الآلية بوسائط مؤكسدة كبرمنغنات الدوتاسيوم والحوامض . سابعًا امانة الميكروبات بالمواد السامَّة ككلوريد الجير والحامض الكربوليك . ثامنًا إفساد المواد الآلية بواسطة ميكروبات أُخرى بمرورها على ارض معدَّة لذلك . تاسعًا استخدام هذه المواد الآلية سمادًا للزروعات . وكل واسطة من هذه الوسائط غير وافية بالمراد ولعلَّ الواسطة الاخيرة اوفاها . واذا كانت المواد البرازية تصب في الانهار التي يستقى منها وجب ان تطهَّر جيدًا قبل صبها في الانهار حتَّى لا يبقى فيها ميكروب مَرَضي مهما كان نوعهُ وحتَّى يزول منها اكثر ما فيها من بقية المواد الآلية انتهى . ولم يذكر الخطيب طريقة لورنز الشهيرة وهي احماء المواد البرازيَّة حتَّى يموت كل ما فيها من المواد الحية وتصير مسحوقًا ناعمًا خاليًا من كل فساد ورائحة خبيثة واستعمال هذا المسحوق سمادًا فقد اطَّلعنا على اراء كثيرين من اشهر الباحثين في هذا الموضوع فرأيناهم متفقون على فضل هذه الطريقة . وحبذا لو جرِّدت جميع المباحث العلمية من الاغراض السياسيَّة والماليَّة كما قال سمو ولي عهد انكلترا وقرِّر الحق المجرَّد دائمًا

وتلاهُ الدكتور الفرد كربنتر وتلا رسالة بيَّن فيها انهُ يجب استخدام كل المواد البرازية في الزراعة لكي يعود كل ما فيها من المركبات النيتروجينية الى النبات ومنهُ الى الحيوان فالانسان . وقال ان الذين يستخدمون هذه المواد للزراعة قد يخسرون مالًا ولكن البلاد تنتفع بعملهم لانهُ اذا كثرت الحاصلات الزراعية رخص ثمنها وكان النفع من ذلك عامًّا للامة فيجب ان تنفق بعض النفقة على استعمال المواد البرازية في الزراعة لقاء ما تربحهُ هذا فضلاً عن استعمال المواد البرازية في الزراعة يضعف الامراض الوبائية و يقلل انتشارها

وتلا الدكتور بوشان رسالة في الانفلونزا وفعلها في بلاد الانكليز و بيَّن ان وفياتها تزيد عددًا اذا زاد البرد وتقلُّ اذا قلَّ البرد وانها تجري مجرى ذات الرئة والزكام الحاد وما اشبه من امراض المسالك الهوائية . وانها قتلت في مدينة لندن وحدها في مدة احد عشر اسبوعًا ١٩٩٧ شخصًا وافاض في هذا الموضوع واستنتج اخيرًا ان جراثيم الانفلونزا تصعد مع الرياح من البلدان الشمالية حينما تهب الزوابع وتسير معها في طبقات الجو العليا وتقع في بلدان أخرى فيصاب اهلها بالانفلونزا وبهذا يعلل ظهورها بغتة في بعض السفن وهي في قلب البحار

ويستفاد مما تقدَّم ان الكيمياء قد افادت علم حفظ الصحة فوائد لا تقدَّر وانهُ لا ينبغي لحكومة من الحكومات ان تغضي عن الحقائق العلمية وعن استشارة ثقات العلماء في كل ما تعمله من الاعمال العمومية وما تتخذهُ من التدابير الصحية والاَّ سارت على غير هدًى وافسدت وهي تتوخَّى الاصلاح واضرَّت وهي تتوخى النفع

ومما يساق ذكرهُ في هذا المقام ان جلالة الملكة فكتوريا دعت جمهورًا من اعضاء المؤتمر الى قصر اسبرن في الثالث عشر من اغسطس فسار وا بسكة الحديد اولاً ثم نزلوا بحضرة الملكة وأعدت لهم مأدبة فاخرة ثم حظوا بالمثول لدى الملكة وهم من النمسا والمجر وبلجكا والدانيمرك ومصر وفرنسا وجرمانيا وايطاليا و يابان وهولندا ورومانيا وروسيا واسبانيا واسوج ونروج والترب وسويسرا والولايات المتحدة والهندوسيلان وكندا وتونسوث وايلس وفكتوريا وكان النائب عن مصر الدكتور ابرهيم باشا حسن

اما بقية الخطب التي تليت في هذا المؤتمر ولا سيما في الديموغرافيا فسيأتي ما فيها من الفوائد في فرصة اخرى